I J A Z A R A B I : J o u r n a l o f A r a b i c L e a r n i n g
D O I : 10.18860 /ijazarabi.vxxx.xxxxx
I S S N (p r i n t) : 2 6 2 0 - 5 9 1 2 | I S S N (o n l i n e) : 2 6 2 0 - 5 9 4 7
e j o u r n a l . u i n - m a l a n g . a c . i d / i n d e x . p h p / i j a z a r a b i / i n d e x | 1

The Difference between Written and Spoken Grammar in Early Arabic Writing

الاختلاف بين المكتوب والمنطوق نحويًّا في الكتابة العربية المبكِّرة

Abstract

This research reveals a rare phenomenon in the history of Arabic writing that appeared in some of the writings that have reached us from the first and second centuries AH, which is the phenomenon of what the eloquent Arab writes contradicting what is spoken grammatically, which came in the context of a series of contradictions between what is written and what is spoken in Arabic writing.

The research relied on discussing this phenomenon on two types of available written materials by the eloquent Arabs whom words are used as evidence, which are the Qur'anic script and early Islamic inscriptions. Following the descriptive analytical method, starting with defining the concept of that violation, presenting examples of it, and stating the limits of its occurrence in the Qur'anic script and early inscriptions, and discussing what clarifies it, such as stating its causes, effects, and the benefit of knowing it.

The most prominent findings of the research are that this phenomenon was known in that era, which is proven in the inscriptions. As for the Qur'anic script, it did not occur overtly, but rather through different reading styles in which the readings were multiple, or through the belief of those devise places in the scripting of the Qur'an on that. One of the most prominent reasons for this phenomenon is the desire to write the word in a fixed manner and leave the consideration of grammatical rules to the discerning and eloquent reader. This phenomenon disappeared after the development of the writing method and the spread of standard spelling rules. Still, it represents a feature of a distinctive historical stage in Arabic writing. The writings or texts heritage from that era should be understood in this way and analyzed based on that when convincing grammatical analysis is not possible.

Keywords: Qur'anic script, History of Arabic Writing, Early Islamic Inscriptions, Hijazi Script, Writing Rules, Grammatical Error.

المقدمة

وصلنا من إرث العرب المكتوب بأيدي فصحائهم الذين يحتج بكلامهم ممن هم في زمن الاحتجاج اللغوي مادتان تمثل لنا بدقة أسس الكتابة وقواعدها في ذلك الزمن، الأولى ـ وهي المادة الأسمى والأعلى قدرا وأهمية ـ رسم المصحف الشريف، الذي كتب بأيدي الصحابة رضوان الله عليهم في المدينة المنورة، والمادة الثانية هي النقوش الإسلامية المبكرة، وهي كتابات صخرية حفظتها لنا جبال الحجاز وأوديته ووهاده، كتب بعضها الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرها من كتابات أبنائهم وأحفادهم من التابعين.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

DOI: 10.18860 /ijazarabi.vxxx.xxxxx
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online):2620-5947

وفي هذين المصدرين مجالات عدة تستحق البحث والتنقيب خدمة للقرآن الكريم ولسانه العربي المبين، ويأتي هذا البحث لتناول قضية دقيقة محاولا إبرازها، وتحديد معالمها، وعللها، وآثارها، وأمثلة موضحة لها.

تلك القضية هي مخالفة المكتوب للمنطوق نحويا في كتابة العربي الفصيح، وهذا أدق وصف لتلك الظاهرة النادرة، ولا يتحقق ما أعنيه إلا بشرطين، وجود مادة مكتوبة، وأن يكون كاتبها من أهل الفصاحة في زمن الاحتجاج ومكانه، وهذا ما ينطبق على المادتين المشار لهما سابقا.

إن المخالفة بين المكتوب والمنطوق لها مجالات عدة صرفية وصوتية، وغرض هذا البحث الحديث عنها في حدود المخالفة النحوية، وقد نالت المخالفة بين المكتوب والمنطوق من جهات أخر حظها من الدراسة والبيان، فلا يخلوا كتاب إملاء أو رسم من الحديث عن ما يكتب ولا ينطق من الحروف، وما يحذف اختصارا من الكتابة، أو نطق بعض الحروف صوتيا على غير ما تكتب، وكل ذلك لم أرد الحديث عنه في هذا البحث، وإن كان الجامع لكل تلك المخالفات أمرا واحدا كما سيتضح لاحقا، بينما لم تنل ظاهرة المخالفة النحوية حقها من البيان بسبب أنها لم تعد مستعملة اليوم، وتعد من مظاهر الخطأ واللحن، بعد أن كانت موجودة في مرحلة معينة من مراحل الكتابة العربية، ولها تفسيراتها وأسبابها.

وقد تناولت تلك القضية وفق المصدرين المشار لهما فيما تقدم، وما فيهما من مادة مكتوبة، وبين المصدرين فرق في الإشارة إلى تلك القضية لدى العلماء، ففي رسم المصحف نجد مواضع تحدث عنها العلماء تمثل لنا أساسا في الحديث عنها من القرآن الكريم، أمَّا النقوش الإسلامية المبكرة فهو المصدر الغائب عن الدرس لدى العلماء، وذلك يعود لغياب محتوى مادته في الفترات السابقة، لكنه اليوم ومع الجهود المبذولة من المؤسسات الثقافية والتراثية في المملكة العربية السعودية، وكذلك العناية من قبل المهتمين والباحثين والمنقبين عنها، تم توثيق آلاف النقوش الإسلامية المبكرة والكتابات الصخرية، وأكثرها مما هو موجود في الحجاز وتحديدا مكة المكرمَّة والمدينة المنوَّرة، وتتواصل جهود الكشف عنها باستمرار، وقد وقفت بنفسي على أكثر من ثلاثة آلاف نقش تعود لتلك المرحلة في المدينة وضواحيها، فكانت مادة علمية كافية لدراسة كثير من القضايا المتعلقة بتاريخ الكتابة وتطورها، ومنها هذه القضية الدقيقة التي أعرضها في هذه الورقة.

منهجية البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي في دراسة المادتين المشار لهما سابقا، وتحليل محتواهما وتفسيره والتعليل له، حتى نصل إلى الأحكام المتعلقة بهذه القضية، مراعيا ما يناسب كل مصدر، ففي رسم المصحف بدأت بعرض الآثار المنقولة عن الصحابة رضوان الله عليهم المتعلقة بهذه القضية، وكذلك أقوال العلماء، دون استطراد في ذلك حيث درست ونوقشت في دراسات أخرى،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

DOI: 10.18860 /ijazarabi.vxxx.xxxxx
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online):2620-5947

وغرضي هنا الإشارة إلى علاقتها بالقضية التي يتناولها البحث، ثم بعد ذلك قمت بعرض المواضع التي وقع الحديث عن وقوع مخالفة المكتوب فيها للمكتوب نحويا، لنصل إلى بيان حدود وقوع المخالفة بين المكتوب في رسم المصحف وما قرئ به، وأثره وأحكامه.

أمَّا المصدر الثاني وهو النقوش، فبدأت بإثبات وجود تلك الظاهرة فيها، وعرض بعضها، والإحالة إلى نظيرها مما لم يتم عرضه، ثم بيان مظاهر تلك القضية بشكل عام وبيان دلالاتها، ومقارنتها بما ورد في رسم المصحف، لنخرج بتصور دقيق عام للقضية يبين لنا جميع أبعادها وآثارها.

وفي مادة النقوش حرصت على أن تكون في حدود الحجاز، وتحديدا مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة؛ وذلك لارتباطه الوثيق بانتشار الكتابة العربية في مراحلها المبكرة، وهو البيئة الأولى التي كانت فيها المراحل الأولى والأساسية لتطور الكتابة العربية، وتميزت تلك البيئة لغويا فكانت من مصادر الاحتجاج لدى علماء اللغة وفق جميع معاييرهم المكانية والزمانية، فأهله أفصح العرب وأعلاهم في معايير الفصاحة، من قريش وبقية القبائل العدنانية كسليم ومزينة، وقبائل الأوس والخزرج، وقد حافظت على خصائص الخط الحجازي في رسمه وقواعده. (Ibn al-Nadim, 1978, p.9 & Al-Zahrani, 2004, p.42).

وبهذا تتحد البيئة الزمانية والمكانية للمصدرين، وأعني بذلك رسم المصحف والنقوش المبكرة، مما يعين على مسألة الاستنتاج السليم وفق مواضع متعددة في القضايا التي يعرض لها البحث.

واخترت عنوان البحث بهذه الصيغة لأنه أوضح في توضيح المقصود، وأنسب عند الحديث وفق المصدرين الذين اعتمدت عليهما، ويمكن أن يعنون لهذه الظاهرة بلحن الكتابة، وهو ما ورد في بعض النصوص كما سيأتي، لكن أود أن أبين هنا أنه ليس من اللحن الذي هو الخطأ وإنما لذلك وجه عند من يصف ذلك باللحن سيبينه البحث.

وحرصت على عرض صور بعض النقوش عند الحاجة، وقد أكتفي بإيراد نص النقش من مصدره فقط، أو الإشارة إلى موقعه مما وقفت عليه بنفسي وقمت بتوثيقه في أثناء رحلاتي المتعددة للبحث عن تلك النقوش.

نتائج البحث ومناقشتها

سيكون الحديث عن قضايا البحث عرضا ومناقشة في عناوين متعددة، لأقدم ما يضيف إلى تلك المسائل إضافات تكشف عن الغموض فيها، وذلك كما يلي:

أولا: توضيح المقصود بمخالفة المكتوب للمنطوق نحويا:

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

DOI: 10.18860 /ijazarabi.vxxx.xxxxx
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online):2620-5947

الغرض من الكتابة تمثيل المنطوق ليعيد من يقرؤه نطقَه وفهمَه وفق مراد كاتبه، ومدى تحقيق هذا الغرض هو ما يميز كتابة عن أخرى، ومن يتابع تطور الكتابات في مختلف اللغات يرى أن التطوير فيها لتحقيق هذا الأمر، وإدراك تلك الغاية، وهي أن يكون المكتوب في أقرب درجة من المنطوق، فقدرات النطق أكبر من الكتابة، لذا تحاول الكتابة الاقتراب منها أكثر، وتلك المحاولات لا تتوقف، فنجدها تظهر بين حين وآخر، فمنها ما يكون له القبول والانتشار، ومنها ما لا يحظى بشيء من ذلك لأسباب متعددة.

والكتابة العربية وقواعدها التي نعرفها اليوم تطورت عن الكتابة في الحجاز، والذي تتميز مرحلته ببدايات الانتشار للكتابة العربية، وجاءت تلك المرحلة عقب مرحلة الانفصال عن الخط النبطي وكتابته المعروفة في الشمال الغربي من الجزيرة والممتدة حتى مكة والمدينة، ودعم مرحلة الانتشار للكتابة العربية ظهور الإسلام، ونزول القرآن الكريم فكان لذلك أكبر الأثر في ازدياد أهمية تلك الكتابة وتوسيع مدى الاهتمام بها، بعد أن حملت العربية وكتابتها لواءه ونالت وسام شرف تدوين موروث أعظم حضارة عرفتها الإنسانية، ونقلها إلى أصقاع الأرض، وإلى الإنسانية عبر مر العصور، فزاد الحراك العلمي وتعدد مما جعل الكتابة تواكبه.

ولا أريد أن أتحدث عن كل سمات مرحلة الانتشار للكتابة العربية، فغرضي الحديث عن سمة واحدة من سماتها هي المرتبطة بهذا البحث، وهي الاعتماد على حس القارئ ووعيه في تحديد الحروف والألفاظ المكتوبة، حيث يتحمل القارئ عبء تحديد المراد في كثير من أجزاء المكتوب، ومن أمثلة ذلك تحديد الحروف التي تشترك في صورة واحدة، كالعين والغين، والفاء والقاف، والباء والتاء والثاء والنون، وذلك قبل استعمال النَّقطِ المبيِّنِ لها، وهو مرحلة من مراحل التطور اللاحقة.

ومما نجده في تلك المرحلة ظاهرة توحي بالتراجع عن غرض الإيضاح في الكتابة، مثل ما نجده من حذف بعض الأحرف في الكتابة، كحذف الألفات في نحو: (إبرهيم)، (إسمعيل)، (الرحمن)، (هذا)، (ملك في مالك)، (الحرث في الحارث)، وهي ظاهرة بارزة استمرت بعض آثارها حتى اليوم، فالذي يظهر كأن الكتابة تبتعد عن المنطوق، فبعد أن عرف أن مثل هذا ترسم فيه الألف تم الاستغناء عنها، بدليل أن ذلك الحذف لا يلتزم به في كل ألف.

والتفسير الأنسب لمثل ذلك أنه لما اشتهرت تلك الألفاظ وعرفت صورتها لدى القارئ سوغ حذفها اعتمادا على ما لدى القارئ من معرفة تميزها، فالحذف ليس سائغا في كل كلمة، ولا يجوز بحسب هوى الكاتب، بل يضبطه أمر شهرة الكلمة ومعرفتها.

وأيضا تصبح الكلمة بصورتها المختصرة رمزا واحدا للمقصود، فكأن الكاتب تجاوز مرحلة الرمز للحرف الواحد بصورة خاصة، إلى أن يرمز بصورة عامة للكلمة دون مراعاة لتفاصيل حروفها رغبة في الاختصار، وهذا هو السر والغاية، وهو طلب الاختصار وتقليل الجهد في الكتابة التي كانت

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

تحتاج إلى ذلك في تلك العصور، نظرا لندرة ما يكتب عليه، وضيق مساحات الكتابة، وصعوبة ما يكتب عليه كالأحجار والعظام ونحوها، فجاء مثل ذلك استجابة لاحتياجات العصر وظروفه.

وتأتي ظاهرة مخالفة المكتوب للمنطوق نحويا وهي التي أتحدث عنها في هذا السياق، وهو الرمز للكلمة بصورة يكمل القارئ بعض أجزائها وفق ما عرفه واستقر في أسلوب نطقه.

ذكرت في المقدمة أن المقصود بهذه الظاهرة هو ما نجده في كتابة العربي الفصيح من مخالفة للقياس الذي يكون عليه النطق، ولا يتحقق ذلك إلا بشرطين، وجود مادة مكتوبة، وأن يكون كاتبها من أهل الفصاحة في زمن الاحتجاج ومكانه، لأن المتصور أن العربي لن يراعي ما كتب بل سيتبع سليقته، فلو كتب مثلا: مررت بأبو زيد، فإن العربي الفصيح سينطقها: مررت بأبي زيد، وهنا تصبح الكلمة بمجملها رمزا واحدا فينطقها على سليقته، متجاهلا رموز الأحرف المكتوبة المكونة للكلمة، بخلاف ما يقع من غير العرب الفصحاء، فإنه إذا كتب سيجاري ما كتبه دون إدراك لما هو الصواب في النطق، لأنه سينظر لكل حرف على أنه رمز لصوته الأصلي، فينطق الواو في هذا المثال وفق ما تم رسمه.

فهي ظاهرة من ظواهر الكتابة، وجاز على ضوئها أن يكتب الكاتب الكلمة على خلاف المنطوق، لعلل سيأتي بيانها، ثم اختفت بعد ذلك.

ثانيا: رسم المصحف:

جاء رسم المصحف الشريف بخصائص متعددة، وسمات خاصة، يمثل أغلبها أسلوب الكتابة المتعارف عليه في زمن كتابته، وبعضها الآخر جاء مراعيا لتعدد القراءات في كثير من المواضع، وقد يخفى التفريق بين الأمرين، لأن الغالب هو عرضهما على أنهما من خصائص الرسم القرآني، والصواب التفريق بينهما، فالرسم القرآني في أغلبه ممثل لأسلوب الكتابة الشائع في زمنه، وما كان من ابتكار الكتاب من الصحابة رضوان الله عليهم مراعاة لجوانب خاصة بالقرآن الكريم، مثل تعدد القراءات فهو موجود، (Al-Sa'adi, 2022, p.35 & Al-Jamal, 2005, p.60) لكنه أقل مما جاء وفق أسلوب الكتابة المتبع في ذلك العصر، وأرى أن هذا مما يصلح لدراسات واسعة ومعمقة على ضوء النقوش التي اكتشفت في الآونة الأخيرة، مما يجعل أمر البحث في ذلك ميسرا، ويعتمد على منهج المقارنة بين رسم المصحف وما في النقوش، وبذلك سنصل إلى تصور أدق وإدراك كثير من الحقائق التي لم تعرف عند الاعتماد على رسم المصحف فقط، وقد تناولت بعض المسائل الجزئية وفق هذا المنهج، مثل رسم الهمزة المتصدرة، فخرجت بنتائج علمية متميزة ولله الحمد.

وعند العودة إلى محور البحث وهو الاختلاف بين المكتوب والمنطوق نحويا أبدأ بإلماحة سريعة إلى ما ورد من نصوص تشير إلى وقوع المخالفة بين المكتوب والمنطوق في المصحف الشريف،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

قبل أن أعرض بعض المواضع التي نقل فيها، لنخرج بالتصور النهائي لحدود وقوع الاختلاف النحوي بين المكتوب والمنطوق في رسم المصحف الشريف.

من أشهر النصوص التي يتم تداولها في قضية الاختلاف بين رسم المصحف والمنطوق أثران أحدهما عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، والآخر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما.

حيث روي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال:"إنَّ في القرآن لحنًا ستقيمه العربُ بألسنتها"، وقد روي عنه بأسانيد وطرق متعددة. (Al-Sijistani 2002, Al-Hindi 1998, 2/248 & 1/122 & Ibn Shabah, 1996, 2/129).

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه قال:"سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن ﴿إن هذان لساحران﴾،(Al-Quran 20:63) ،وقوله: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصَّابئون والنَّصارى﴾ (Al-Quran 5:69)، ﴿والمقيمين الصَّلاة والمؤتون الزكاة﴾ (Al-Quran 4:162)، وأشباه ذلك، فقالت: أي بُنَيَّ إنَّ الكُتَّاب يخطئون". (Ibn Shabah, 1996, 2/129 & Al-Shawkani, 1997, 1/537).

وتناول العلماء هذين الأثرين بالدراسة، فدرست أسانيدها، ورواتها، وكذلك توضيح المقصود بها، وموقفهم منها، وكان ملخص موقف العلماء بين أمرين: إنكار تلك الروايات لما فيها من علل في أسانيدها، أو تأويلها على غير ما يفهم من تلك المخالفة التي تدخل تحت مصطلح اللحن بمفهومنا اليوم، وهو الخطأ النحوي، ذاكرين أن المقصود بذلك مافي رسم المصحف من حذف بعض الحروف أو زيادتها أو الإشارة إلى الإمالة ونحو ذلك مما يعرفه القراء إذا رأوه. (Ibn al-Jawzi, 1984, 2/251 & Al-Shawkani, 1997, 1/537 & Al-Alusi, 6/28 & Ibn Ashour, 1997, 2/28 & Al-Zarqani, 1996, p.266).

وتوجيهها على عموم ما في الرسم من مخالفات للمقروء أمر محتمل، وهو الأرجح فيما يظهر، لكننا نلحظ أن مما يذكر عند ذكر تلك النصوص مواضع كان الاختلاف فيها في دائرة الأحكام النحوية، وهذا مجال النظر في هذا البحث.

لذا سوف أستعرض تلك المواضع، لأبين مدى صلتها بما ذكر من أنها من أثر تلك المخالفة، ونرى هل وقع الاختلاف بين المكتوب والمقروء نحويا، وذلك بتناول كل موضع على حدة كما يلي:

١.قول الله تعالى: ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمقيمين الصَّلاة﴾ (Al-Quran 4:162)، فلفظ (المقيمين) جاء في رسم المصحف بالياء، وهو الموافق لما ورد في قراءة أكثر السبعة، وللعلماء كلام طويل في توجيهها، (Al-Samīn, 1986, 4/153)، ومما ورد عن أكثر السبعة يتضح أن الرسم موافق للمنطوق وفق تلك الأوجه من القراءات، وبهذا يخرج من حدود المخالفة النحوية التي نتحدث عنها.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

لكن جاء في بعض القراءات بالواو (والمقيمون) ، ونقل أنها بالواو في مصحفي ابن مسعود وأُبيَّ رضي الله عنهما، (Al-Samīn, 1986, 4/153) فمن قرأه كذلك فقد وقعت المخالفة بين المشهور في رسم المصحف وبين المنطوق، فهو داخل في حدود ما نعنيه بالمخالفة النحوية.

٢. قول الله تبارك وتعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصَّابئون والنَّصارى﴾ (Al-Quran 5:69)، فلفظ (الصابئون) جاء في رسم المصحف بالواو، وهو الموافق لقراءة الجمهور، (Al-Samīn, 1986, 4/353 & Al-Hemri, 2015, 4/2126)، وهو ما اتفق عليه السبعة، وعلى هذا فإن الرسم موافق للمنطوق وفق قراءة الجمهور، وبهذا يخرج من حدود المخالفة النحوية.

لكن جاء في بعض القراءات بالياء (والصابئين)، قرأ بذلك أبي بن كعب وعثمان وعائشة رضي الله عنهم، والجحدري وجماعة، ونقلها بعضهم عن ابن كثير، (Al-Samīn, 1986, 4/353)، فمن قرأه كذلك فقد وقعت المخالفة بين المشهور في رسم المصحف وبين المنطوق، فهو داخل في حدود ما نعنيه بالمخالفة النحوية.

يقول السمين الحلبي معلقا على تلك القراءة:"وهذه القراءة واضحة التخريج، عطفا على لفظ اسم (إنَّ)، وإن كان فيها مخالفة لسواد المصحف فهي مخالفة يسيرة، ولها نظائر، كقراءة قنبل عن ابن كثير: ﴿سراط﴾ وبابه بالسين، وكقراءة حمزة إياه في رواية بالزاي، وهو مرسوم بالصاد في سائر المصاحف، ونحو قراءة الجميع: ﴿إيلافهم﴾، بالياء، والرسم بدونها في الجميع" (Al-Samīn, 1986, 4/362).

ويلحظ من كلام السمين الحلبي أنه ساوى بين المخالفة النحوية والمخالفة الصوتية الصرفية في رسم المصحف والمقروء به، وهو المفهوم الذي نبَّهت عليه سابقا من أنهما داخلان تحت مطلق المخالفة وإن كان سبب الاختلاف وحكمه متباينين.

٣. قول الله سبحانه وتعالى:﴿إن هذان لساحران﴾،(Al-Quran 20:63)، فلفظ (هذان) جاء في رسم المصحف هكذا: ﴿هذن﴾، بدون ألف ولا ياء (Al-Samīn, 1986, 8/63)، ووردت القراءة بهما (هذان) و(هذين) (Ibn Mujahid, 1980, p.621)، لكن يعتبر العلماء عدم رسم الألف هنا من قبيل الاختصار بالحذف، ووقع هذا في جميع مواضع الرفع فيها، ولذلك فهي كأنها مما رسم بالألف، ولو كانت بالياء لرسمت، (Al-Samīn, 1986, 8/64)، يقول أبو علي الفارسي يقول:"وإذا كان الأوجه الرفع بعدها رفع (هذان) بعدها، وأدى مع ذلك خط المصحف". ونَقَلَ عن الأخفش:"وقال أبو الحسن: ﴿إنْ هذان لساحران﴾، بتخفيف (إن)، لأن الكتاب: (هذان)، فيحملها على لغة من يخفف (إن) فيرفع بها"، (Al-Farsi, 1991, 5/231).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ومن كل ذلك يتضح أن ورود القراءة فيه بالألف مخرج له عن حدود المخالفة المقصودة، ومن قرأه بالياء فقد وقعت المخالفة بين المشهور في رسم المصحف وبين المنطوق، فهو داخل في حدود ما نعنيه بالمخالفة النحوية.

٤.قول الله تبارك وتعالى: ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾،(Al-Quran 55:78)، قرأ ابن عامر وحده: ﴿ذو﴾، وهي بالواو في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون بالياء، وهي كذلك في مصاحف أهل الحجاز والعراق(Ibn Mujahid, 1980, p.621 & Ibn Ammar, 1973, 1/120).

وهذا الموضع يميزه عما سبق اختلاف المصاحف في رسمه كاختلاف المقروء به في السبعة، وهي مصاحف أمصار وليس مصحفا منسوبا لقارئ معين مثل ما سبق في بعض المواضع، فما قرأ به ابن عامر مخالف للمشهور من المصاحف، فهو داخل في حدود المخالفة النحوية بين المكتوب والمقروء بهذا الاعتبار، ويخرج من ذلك بالنظر إلى مصاحف أهل الشام.

ومن هذا الاستعراض للمواضع التي تُحدِّث فيها عن الاختلاف بين رسم المصحف والمقروء في القرآن الكريم يتضح لنا أنه لم تقع مخالفة نحوية بين الرسم وجميع ما ورد في القراءات، فالمواضع كلها ورد في القراءات ما يوافق رسم المصحف فيها، وجاءت مع ذلك أوجه في القراءة مخالفة له، فلهذا يقال إن المخالفة لم تقع صريحة مع كل ماقرئ به بل هي باعتبار قراءات أخرى.

وقد يعلل لذلك بأن كُتَّاب المصحف من الصحابة رضوان الله عليهم لم يستطيعوا مراعاة جميع ما يعرفونه من أوجه في القراءة في المصحف الإمام، فاختاروا الرسم وفق وجه رأوه هو الأنسب أن يثبت في الرسم، وتركوا ما جاء مخالفا لذلك مما ينقل ويؤخذ على سبيل التلقي، الذي هو الأصل في القراءات، وهذا ما يفسر لنا حرص الصحابة رضوان الله عليهم على توحيد رسم المصحف، حتى لا تكون مثل تلك الاختلافات سببا في تعدد المصاحف، فتوحيدها وفق رسم واحد والعناية به وضبطه أسلم من أن تتعدد المصاحف وقد لا يجد بعضها عناية في ضبطه نظرا لقلة من يقرأ بما فيه، فيكون بابا للخطأ فيه بزيادة أو نقص بعد ذلك، ويبقى الأخذ بالتلقي هو المبين للمنطوق في كل مروي، وهذا من توفيق الله تعالى لهم ومن آثار تحقيق وعده بحفظ كتابه الكريم.

ومراعاة بعض القراءات دون أخرى من مظاهر الرسم العثماني في المصحف الإمام، يؤكد ذلك ما ذكره العلماء من أن الصحابة رضي الله عنهم كتبوا مصاحف بعض أهل الأمصار على وجه يخالف المصحف الإمام مراعاة لوجه في القراءة لم يستطيعوا جمعها مع غيرها في رسم واحد في المصحف الإمام.(Al-Samarqandi, 2014, p.342 & Ahqili, 2009, p.14).

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وأيضا لم يلجأ الصحابة إلى ذلك في كل مواضع ما تعددت أوجه القراءة فيه، بل كان من منهجهم في كثير من الألفاظ كتابتها على ما تحتمله القراءات الواردة، ولهذا أمثلة عدة وضحتها العديد من الدراسات.(Al-Sa'adi, 2022, p.35 & Al-Jamal, 2005, p.60).

ويجب أن نعلم أن هذا الاختلاف واقع عند مقارنة بعض القراءات بالرسم المشهور، وهناك مصاحف أخرى قد توافق تلك الأوجه، منها مصاحف أعلام بعينهم، ومنها مصاحف أمصار، وهو ما أشير إليه فيما سبق، وأيضا تكتب تلك المواضع في كتب القراءات وفق ما يوافق القراءة، فالمخالفة في حدود رسم المصحف الإمام، وعلة هذا ما سبق من مراعاة المشهور من الأوجه المقروء بها في الرسم، وكل ذلك يخرج مثل تلك المواضع من صريح المخالفة لرسم المصحف، فغاية ما هنالك أنها اختلاف مع الرسم المشهور .

ولا ينبغي أن يقال في المصاحف المنسوبة لشخص بعينه أنه جاءت قراءات مخالفة لها؛ لأن تلك المصاحف كتبت وفق وجه في القراءة عند من كتبه، بخلاف الرسم العثماني للمصحف الإمام الذي أريد به أن يكون رسما موحدا لجميع الأوجه المروية في القراءة، فهو مما روعي فيه عموم القراءات، وهذه من أبرز مزايا رسم المصحف الشريف.

أمَّا ما وقع من اختلاف بين مصاحف الأمصار، وهو ما يمثله الموضع الرابع مما سبق، وهو اختلاف بيَّن العلماء مواضعه, ووقع عند كتابة المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه، حيث تميزت بعض مصاحف الأمصار برسم يخالف المصحف الإمام، فمن كتب المصحف الإمام هم من كتب تلك المصاحف الأخرى، وميزها ببعض الأوجه الخاصة بها، وقد تحدث العلماء عن علته والغاية منه، (Ibn Ammar, 1973, p.118 & Al-Samarqandi, 2014, p.342).

ومنها مواضع لها ارتباط بالأحكام النحوية، مثل ما ورد بصيغتين من الفعل (قال) و(قل) في بعض الآيات، (Ibn Ammar, 1973, p.119 & Al-Hemri, 2015, 1/209)، ومن تلك المواضع مثلا ما ورد في سورة الإسراء: ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾،(Al-Quran 17:93)، حيث قرأ ابن كثير وابن عامر ﴿قال سبحان ربي﴾، بصيغة الماضي، وإثبات الألف التي هي العين، وهي كذلك مثبتة في مصاحف أهل مكة والشام، وقرأ بقية السبعة بصيغة الأمر، وحذف العين، كما هو المشهور في رسم المصاحف، وكذلك ورد في مواضع الأخرى لهذا الفعل، في سورة الأنبياء الآية رقم: ٤، وسورة المؤمنون الآيات رقم: ١١٢، ١١٤، (Ibn Mujahid, 1980, p.449)، وبعد تتبع جميع تلك المواضع وجدت أنه وردت القراءة بها، وعلى ذلك بُني تعدد رسمها، فنجد قراءة إمام أهل المصر موافقة لما هو في مصحفهم، وبهذا لا يكون في ذلك اختلاف بين المكتوب والمقروء به إلا إذا نظر إلى ذلك باعتبار المصحف الإمام الذي يمثل الأشهر في الرسم، ويؤكد هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم أرادوا أن يثبتوا بعض صور الرسم التي وردت في القراءة في مصاحف الأمصار حينما تعذر أن

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ترسم برسم واحد يحتمل ما ورد من تعدد للقراءات فيها،(Al-Samarqandi, 2014)، وبهذا فهم يرون أن ظاهرة المخالفة بين المكتوب والمقروء لا ينبغي أن تصل إلى المستوى النحوي، ولهذا تعددت المصاحف، واختلفت في بعض المواضع، ومنها مواضع نحوية، لتكون أوضح في القراءة وأبين.

المبحث الثالث: ظاهرة مخالفة المكتوب للمنطوق في النقوش الإسلامية المبكرة:

أمَّا في المصدر الثاني من مصادر الكتابة في الحجاز وهي النقوش الإسلامية المبكرة التي حافظت على خصائص الكتابة الحجازية لمدة عقدين من الزمان فقد وردت هذه الظاهرة في عدد من النقوش، ولأجل أن يكون الحكم دقيقا عرضت ما تكرر في عدد من النقوش، حتى نستبعد ما وقع على سبيل الخطأ الفردي، فالذي أريد بيانه هو ما كان شائعا وفق ثقافة الكتابة في ذلك الزمن، وخرج عن دائرة الخطأ.

ظهرت مخالفة المكتوب لمنطوق العربي الفصيح نحويا في النقوش في الأسماء والأفعال، وهذا عرض لأمثلة مما ورد في كل نوع:

١.مخالفة المكتوب للمنطوق في الأسماء:

ظهرت أغلب أمثلة مخالفة المكتوب للمنطوق في الأسماء المعربة بالحروف، وهي الحالة التي تظهر فيها أثر الأحكام النحوية في رسم الكلمات في عصر كان يمثل في الكتابة الحرف فقط، قبل أن يعرف نقط الإعراب وحركاته.

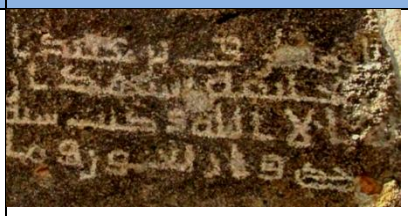
من أمثلة ذلك ما ورد في الملحق بجمع المذكر السالم، في بعض النقوش، ومنها عبدالرحمن بن خطاب وهذه صورته:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"حسبي الله عليه توكلت وكفى به وكيلا وكتب عبدالرحمن بن خطاب سنة سبع وسبعون ومائة". (النقش مما وقفت عليه في منطقة الضلوع، بالقرب من المدينة المنورة، شمال غرب المدينة).

فما ورد في كتابة التاريخ: (سنة سبع وسبعون)، مخالف لما هو منطوق حتما، فهو بالياء نطقا، عطفا على المنصوب قبله، وهو لفظ (سنة).

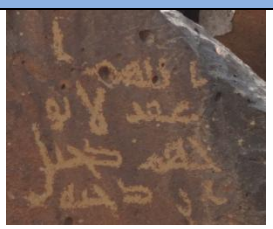
ومثل ذلك ما ورد في نقش مطرِّف به عبدالله وهذه صورته وقراءته:

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"إن مطرّف بن عبدالله بن خليفة يشهد ألا إله إلا الله وكتب سنة إحدى وأربعون ومائة" (مما نشره الثمالي، عبدالله، منصة إكس، وهو من نقوش مكة المكرمة، وتم الاطلاع بتاريخ ٣/ ٥ / ١٤٤٦هـ، https://x.com/thoomaly11).

فما ورد في كتابة التاريخ: (سنة إحدى وأربعون ومائة)، مخالف لما هو منطوق حتما، وهو بالجر عطفا على المجرور قبله، (سنة إحدى وأربعين).

ومن الأمثلة أيضا، ما ورد في نقش كحيل بن دحية، وهذه صورته وقراءته:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"اللهم اغفر لأبو جهم كحيل ابن دحية" (النقش مما وثقته ووقفت عليه في منطقة وادي الخنق، شرق المدينة المنورة).

فما كتب: (لأبو جهم)، مخالف لما هو منطوق حتما، فهو مجرور، ينطق كالتالي: (لأبو جهم).

ومثل ذلك ورد في نقوش أخرى أذكر نصوصها دون عرض لصورها اختصارا، منها نقش: "اللهم ارحم برحمتك أبو عبيد الله ابن وائل ..." (Al-Rashed, 2000, p.103)، حيث كتب: (أبو) بالواو، وهي في موضع نصب مفعول به، والقياس في النطق أن يقال: (أبا).

وشاهد قبر:"بسم الله الرَّحمن الرَّحيم اللَّهُمَّ إذا جمعت الأوَّلين والآخرين لميقات يوم معلوم فاجعل أبو إسماعيل وأمَّ العباس ... من الآمنين", حيث كتب: (أبو) بالواو، وهي في موضع نصب مفعول به، والقياس أن يقال: (أبا)، ووصفه الزهراني بأنه خطأ لغوي. (Al-Zahrani, 2004, p.179).

ونقش:" اللَّهُمَّ صلي على محمَّد النَّبي وتقبَّل شفاعته في أبو أمامة"، Al-Rashed, 1995, (p.94)، حيث كتب: (أبو) بالواو ، وقياس نطقها بالياء لأنها في موضع جر.

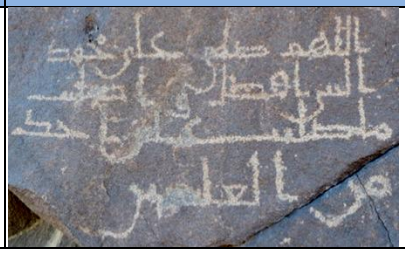
Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فهذه أمثلة تؤكد لنا وجود هذه الظاهرة في الأسماء، لكن ينبغي أن يعلم أن تلك الأمثلة قليلة بالنسبة إلى ما جاء على الأصل في الكتابة والنطق، وأذكر بعض تلك النقوش من باب التمثيل، فمن ذلك: نقش سد معاوية رضي الله عنه في المدينة المنورة وفي آخره:" .... وقام عليه كثير بن الصَّلت وأبو موسى"، (Al-Rashed, 2000, p.46 & Al-Shuwaish, 2002, p.118)، ونقش:"آمن أبو سلمة بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بالله العظيم، وكتب سنة مئة"، وهو مما وثقته في منطقة غدير رواوة جنوب المدينة المنورة، وناقشه من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونظائر ذلك كثير في النُّقوش. Al-Rashed, 2000, p.92, 104, 115, 117, 126 & Askoubi, and others, 2006, p.311 & Al-Zahrani, 2004, p141).

٢.مخالفة المكتوب للمنطوق في الأفعال:

ظهرت أغلب أمثلة مخالفة المكتوب للمنطوق في الأفعال المعربة بالحروف أيضا، كما في الأسماء.

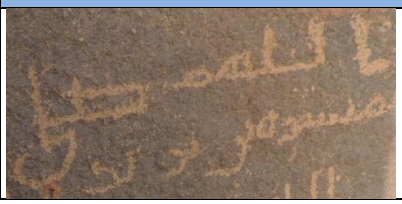
ومن أمثلة ذلك إثبات حرف العلة في الكتابة في الموضع الذي يكون القياس فيه حذفه عند النطق، كما في فعل الأمر من (صلَّى)، فالقياس أن يقال: (صلِّ)، وكثر إثبات حرف العلة في كثير من النقوش، فيكتب كما يلي: (صلِّي)، ومنه ما ورد في نقش في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الجدول التالي:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"اللهم صلي على محمد النبي أفضل وأطيب ما صليت على أحد من العالمين" (النقش مما وثقته ووقفت عليه في منطقة العوينة، شرق المدينة المنورة).

وكذلك وورد هذا في كثير من النقوش، أشير إلى بعضها دون عرض صورها، فمنها: نقش إبراهيم بن ميمون الأسلمي، وفيه:"اللهم صلي على محمد ..."، (المغذوي، محمد، حسابه في منصة إكس (نوادر الآثار والنقوش)، وتم الاطلاع عليه بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠١٩م، https://x.com/mohammed93athar)، ونقش:"اللهم صَلِّي على محمد عبدك ورسولك"، ونقش:"اللهم صلِّي على مسلم بن عبد ..."، وكلاهما مما وثقته في منطقة الصويدرة شرق المدينة، ونقش:"اللهم صلي على فاطمة ابنت طلحة". وهو مما وثقته في منطقة غدير رواوة، جنوب المدينة المنورة، ولا يُنْطَقُ مثلُ هذا عند العربي الفصيح إلا بحذف حرف العلة.

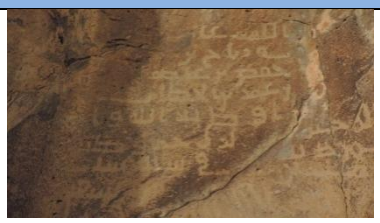
Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وورد الإثبات في رسم الفعل (صلِّ) في غير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلته ما ورد في نقش ميسرة بن يزيد، حيث دعا لنفسه بأن يصلى الله تعالى عليه ويرحمه، وذلك كما يلي:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"اللهم صَلِّي على ميسرة بن يزيد" (النقش مما وثقته ووقفت عليه في منطقة الصويدرة، شرق المدينة المنورة).

وهذا الفعل في رسم المصحف جاء بحذف حرف العلة على المشهور في الرسم في جميع المواضع التي ورد فيها بصيغة الأمر (Al-Hemri, 2015, 4/2182) ، ومن ذلك: ﴿ وصلِّ عَليهم إنَّ صَلاتَك سَكَن لهم ﴾،(Al-Quran 9:103).

ومن إثبات حرف العلة في كتابة الفعل الذي يحذف فيه ما ورد في فعل الأمر من: (عَافَى)، حيث كتب: (عَافِي)، والمنطوق: (عافِ)، وذلك في نقش رباح بن حفص من أحفاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في الجدول التالي:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"اللهم(عافي) رباح بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أوصي ببر الله والرحم وكتب في سنة ست وتسعين" (النقش مما وثقته ووقفت عليه في منطقة غدير رواوة، جنوب المدينة المنورة).

وأثبتها الناقش نفسه في نقش آخر في الفعل المتصل بالضمير فكتب: (وعافيه)، والمنطوق:(وعافِه)، وهذه صور موضحة للنقش بشكل عام، وللكلمة بشكل خاص كما يلي:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

DOI: 10.18860 /ijazarabi.vxxx.xxxxx
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online):2620-5947

	اللهم (عافي) رباح بن عاصم بن حفص بن عمر الفاروق في الدنيا والآخرة ويوم يموت ويوم يبعث حيا و(عافيه) في دينه وفي جسده وفي أمره واغفر له ذنبه ما تقد منه وما تأخر آمين وكتب في سنة مئة
	"وعافيه" (والنقش مما نشره المغذوي، محمد، حساب (نوادر الآثار والنقوش)، مسترجع بتاريخ ١٦/ ٣/ ٢٠١٩م، (https://x.com/mohammed93athar

فهذه الأمثلة يجمعها أنها مما أثبت فيه حرف العلة في الموضع الذي يكون فيه القياس حذفه؛ لأن علامة الجزم بحذفه، فأثَّر الحكم الإعرابي في الحرف الذي أُثبت كتابةً ويُحذف لفظا.

وقد تأتي المخالفة في كتابة الحرف الذي يحذف في النطق بسبب أثر الحكم الإعرابي الذي يظهر في غيره، يوضح ذلك ما ورد في الأمر من الفعل: (تابَ)، حيث أثبت حرف العلة في عين الكملة في الموضع الذي يحذف فيه، وهو ما ورد في نقش طليب، كما في الجدول التالي:

صورة النقش	قراءته وتوثيقه
	"اللهم ارحم طليب و(توب) عليه إنك تواب رحيم". (مما نشره المغذوي، محمد، حساب (نوادر الآثار والنقوش)، مسترجع بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٧م، (https://x.com/mohammed93athar،

والمنطوق: (تب)، لكنه أثبت الواو في الأمر من (تاب)، ومعروف أن سبب الحذف هو منع التقاء الساكنين، فبعد أن جزم آخر الفعل الصحيح وعلامة جزمه السكون، حذف قبله حرف العلة الساكن.

ووردت المخالفة في الفعل (تب) في نقوش أخرى على نحو ما وقع في نقش طليب، وأشير لها دون تفصيل، وهي نقش:"اللهم (تاب) على عبد العزيز ابن معاوية آمين رب العالمين"، وكما في نقش:"اللهم (تاب) على عبدالحميد بن سالم"،(Al-Rashed, 2009, p.339)، ولا يمكن أن ينطق مثل هذا وفق المكتوب حتما.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وهذا الفعل في رسم المصحف جاء بحذف حرف العلة على المشهور في الرسم، وقد ورد بهذه الصيغة في موضع واحد فقط، (Abdul-Baqi, 1987, p.157) وهو قول الله تعالى:﴿ وتب علينا إنَّك أنت التَّواب الرَّحيم ﴾،(Al-Quran 1:128).

ووردت مثل تلك المخالفة في أفعال أخرى، كما في الأمر من (وقى)، وهو ما ورد في نقش:"اللهم اغفر لجابر بن علي و(قاه) برحمتك عذاب النار"، ووصف الراشد بأن كتابة (قاه) بالألف خطأ، وقرأ الاسم (جبل)، والذي يظهر لي أنه (جابر)، وهو ما أثبته. Al-Rashed, 2009, (p.389).

وهذا الفعل في القرآن الكريم جاء مع ضمير الجمع، ﴿وقهم﴾، وورد في الرسم بحذف حرف العلة على المشهور، وقد ورد بهذه الصيغة في موضعين في سورة غافر (Abdul-Baqi, 1987, p.758) ، منها قول الله تعالى:﴿ وقهم السَّيئات﴾،(Al-Quran 40:9).

والذي يجمع بين النوعين من الأمثلة في الأفعال أن المخالفة وردت في كتابة حرف العلة الذي يحذف في النطق، وإن اختلف السبب كما تقدم، ولا أثر لاختلاف السبب في إثبات ظاهرة المخالفة التي نحن بصدد الحديث عنها.

فهذه بعض الأمثلة من النقوش لإثبات حرف العلة في الموضع الذي يحذف فيه لفظا من الأفعال، وهي أمثلة تؤكد أن ذلك من ظواهر الكتابة في ذلك الزمن.

وبعد هذا العرض لعدد من النقوش في الأسماء والأفعال ظهرت فيها مخالفة المكتوب للمنطوق مما يؤكد وجود هذه الظاهرة في الكتابة المبكرة في الحجاز، وهي المرحلة التي سبقت القواعد القياسية في الرسم والإملاء التي نعرفها اليوم.

والذي يظهر في التعليل لذلك أن الغرض كتابة اللفظ بتمامه، على الأصل التام فيه، رغبة في البيان، وينطق على القياس النحوي محذوفا، فلا يتصور أن ينطقه من يكتبه على نحو ماكُتب؛ لأن ذلك النطق وفق المكتوب من أوجه اللحن التي لم تنقل في ذلك الزمن الذي يحتج بلغة أهله في الحجاز، من قبائل قريش وغيرها من أهل الحجاز.

ونحن بين أمرين في الحكم على تلك الظاهرة إما أن نحملها على أنها من مظاهر الكتابة، ومنهج متبع لدى أهل ذلك العصر، وهو ما تقدم، وعلته على نحو ما سبق أيضا، أو أن تحمل على أنها من مظاهر الخلل في ذلك العصر، فهي أخطاء فردية لا تمثل ثقافة العصر الأساسية.

وأميل إلى القول الأول، لأن الأمثلة عليها كثيرة، بل أكثر ما ورد في الفعل (صلِّ) هو الإثبات لحرف العلة، مما يجعل الحكم بأنها منهج في الكتابة متبع هو الأصوب.

وأيضا ما روي من آثار عن بعض أعلام ذلك الزمن، ومنها الأثران عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما المشار إليهما فيما تقدَّم يلحظ أن تلك القضية معلومة عندهم، فليس كل ما يكتب

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ينطق وفق المكتوب، بل سلطان النطق والنحو أقوى وأظهر، فهو من اللحن في الكتابة التي قصدتها تلك النصوص، وهذا أهون من اللحن في النطق، مع التنبيه إلى أنه لم يقع ذلك في القرآن الكريم إلا على سبيل النظر إلى قراءات أخرى، فلعلهما قصدا ذلك حينما حكما بورود ذلك في القرآن الكريم، فحملاه على ما هو معلوم لديهما، بينما وقف غيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم على أوجه هي المقصودة في الكتابة، وقد حمل الدكتور بشير الحميري على هذا التوجيه ما روي عن عائشة رضي الله عنها.(Al-Hemri, 2015, 3/1590) .

وينبغي أن ندرك أن مصطلح (اللحن) الوارد في الأثر عن عثمان رضي الله عنه لم يقصد به ما نعرفه من الخطأ النحوي اليوم، بل يحمل بناء على ماسبق على أن المراد به مخالفة المكتوب للمنطوق وفق أي مستوى، ومنها المستوى النحوي، وأن حدوده في الكتابة فقط، ولا يمتد إلى المنطوق والمقروء عندهم، مثله مثل المخالفة بحذف حرف اختصارا مما يثبت عند القراءة وينطق به.

وكذلك وصف (الخطأ) الوارد في الأثر عن عائشة رضي الله عنها، يحمل على مثل هذا الفهم، فهو ليس من الخطأ الذي ينبغي تصويبه مما يقع في الكتابة، بل هو من الخطأ المخالف للنطق، ولا إشكال في بقائه على ما هو عليه في الكتابة، والسير وفق منهجه، فالخطأ على نوعين، خطأ ينبغي تداركه وإصلاحه، وهذا غير مقصود في الأثر، وخطأ يبقى ولا إشكال في بقائه، لأنه منهج معلوم في الكتابة، وهو ما سعي لحنا في الأثر عن عثمان رضي الله عنه، يؤكد ذلك أنه أُقرَّ ولم يؤمر بتغييره، لأنه لا أثر له عند من لديه علم به.

وهذا هو التعامل الأمثل مع ما يرد في الآثار من ألفاظ تطابق ألفاظ المصطلحات التي نعرف مرادها اليوم، فلا نحملها على ما هو معروف لدينا، بل المنهج الصحيح أن تحمل على معانيها اللغوية الأصلية، وأن تخرج على فهم أهل ذلك العصر.

ولأجل بيانٍ أكثر لما أعنيه من التفريق بين نوعي الخطأ، أذكر مثالا لما وقع من النوع الأول في النص القرآني في النقوش، وهو مما ينبغي حمله على الخطأ الصريح، الذي يجب عدم وقوعه في النص القرآني عند كتبة المصحف نظرا للعناية الفائقة التي بذلوها عند كتابته، والوضع يختلف في النقوش فهي نتاج عمل فردي، ومجهود بشري معرض لما يعترض الإنسان من سهو وقلة دربة، وهو ما ورد في نقش عثمان بن وهران من الخطأ في كتابة كلمة:(ممنوعة)، (Al-Rashed, 1995, p143 & Al-Rashed, and others, 2003, p.164)، من الآية الكريمة: ﴿لا مَقْطُوعةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، (Al-Quran 56:33)، حيث كتبها كالتالي:



Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فالخطأ هنا وقع سهوا من الكاتب في نص قرآني كريم، ووقع الخطأ بتقديم (العين) وتأخير حرف (الواو) وتكرار (الهاء)، فهذا هو الخطأ الصريح الذي لم يقع ولله الحمد في المصحف، وما يوصف من غير ذلك بأنه مخالفة أو لحن أو خطأ إنما هو نتاج منهج في الكتابة متبع في ذلك الزمن، ومتعارف عليه.

وعند مقارنة بعض ما ورد في النقوش مع ما ورد في رسم المصحف يلحظ أن رسم المصحف أكثر ضبطا، حيث جاء على الأشهر في الرسم في مواضع المقارنة السابقة.

وينبغي أن يعلم أن تلك الظاهرة مع ورودها إلا أنها قليلة بالنسبة إلى ماورد على الأصل في الكتابة من مراعاة المنطوق في الأحكام النحوية، وتبرز أهمية إثباتها ومعرفتها في النقاط التالية:

١. تفيدنا معرفة هذه الظاهرة في ضبط بعض أسس الترجيح والاختيار من القراءات الواردة في بعض الألفاظ، فقد رأى بعض العلماء ترجيح بعض الأوجه الواردة في السبعة بناء على موافقة رسم المصحف، وهو من الأسس المعتبرة في اختيار القراءات الصحيحة، وشرط من شروطها، (Al-Sawi, 1995, 1/287 & Al-Zarqani, 1996, 1/289)، ولا شك في ذلك، لكن في مثل هذه المواضع ينبغي أن يكون ما خالف الرسم بوجه نحوي مساويا لما وافقه إذا كان مرويا بسند متواتر، وأضرب لذلك مثلا بما ورد عند الفراء رحمه الله في قوله الله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾، حيث قال معلقا على من قرأ بتشديد (إنَّ):"قد اختلف فيه القراء، فقال بعضهم هو لحن، ولكنا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب ... وقرأ أبو عمرو: ﴿إنَّ هذين لساحران﴾، ... قال الفراء: ولست أشتهي أن أخالف الكتاب"، (Al-Farra, 1955, 2/183)، ومقصوده أن القراءة بالرفع أرجح عنده لموافقتها رسم المصحف، وذكر بعد ذلك التوجيه النحوي له، وسبب تضعيف قراءة النصب عنده هو مخالفة الرسم، لكن إذا عرفنا أن مخالفة الرسم في مثل هذه المواضع مما هو شائع في الكتابة فإن جميع ما روي عن السبعة على وجه سواء ودرجة واحدة من هذه الجهة، وتبقى جهات أخر للترجيح بينها غير الرسم.

٢. وتفيدنا معرفة تلك الظاهرة في تفسير بعض النصوص المحيرة للعلماء في غير القرآن الكريم، مثل ما أورده العكبري في حديث:"نهى عن قتل جنان البيوت إلا الأبتر وذو الطفيتين، فإنهما يخطفان أو يطمسان البصر"، فمجيء (ذو) بالواو لا وجه له نحويا، لأنه معطوف على منصوب، وتحير العلماء في توجيهه، وكذلك ما ذكره في حديث سلمة بن الأكوع وفيه:" إلى شعب فيه ماء يقال له: ذا قرد"، والقياس أن يقال: ذو قرد. (Al-Akbari, 1999, p.199).

وأرى أن حمل مثل تلك المواضع على مخالفة المكتوب للمنطوق هو المخرج، فهو مما تسلل إلينا من تلك الظاهرة مما كتب على الصحائف، فنقل كما كتب، فالأنسب أن ينطق على نحو

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

القياس في النطق؛ إذا أدركنا أنها ظاهرة في الكتابة كانت في تلك الأزمنة، وهذا أيسر من التكلفات التي لا وجه لها.

٣. كذلك تفيدنا معرفة تلك الظاهرة في تفسير ما نجده بكثرة في النقوش التي لم تتغير، ووصلتنا كما كتبها أصحابها في ذلك الزمن، ومن غير المقبول أن نصف ما اعتادوا عليه بالخطأ، وفق معاييرنا اليوم، وهو ما مرَّ معنا في بعض المواضع مما تقدم لدى بعض المهتمين بتلك النقوش، ورأيته في قضايا أخرى، مثل رسم الألفات، وإثبات همزة (ابن) بين علمين، فتجد بعض الباحثين يصف ذلك بأنه خطأ، دون إدراك بأن ذلك منهج في الكتابة في ذلك الزمن.

وينبغي أن نعلم أننا نتحدث عن مرحلة مبكرة من مراحل الكتابة العربية المعاصرة، ومن الطبيعي أن نجد مثل ذلك، وهو ما سعت القواعد المصطلح عليها لاحقا إلى تداركها.

وسبب كثرة ما نجده في النقوش في تلك الظاهرة دون غيرها يعود إلى أن ما كتب من نصوص أخرى كالأحاديث والآثار وتراث العرب شعرا ونثرا يمر على أعين العارفين المتمكنين في اللغة، فيصوب في الكتابة وفق ما يقتضيه المنطوق، وقد يدعم ذلك وجود رواية تؤكد لهم ذلك، ولهذا يقل ما يصلنا منها، بخلاف النقوش التي بقيت على حالها وفي أماكنها لا تمتد إليها أيدي التغيير، ولا تتأملها عيون المراجعين.

الخاتمة

تعددت مظاهر مخالفة ما يكتبه العربي الفصيح للمنطوق وتعددت أسبابها وأغراضها، ومنها مخالفة المكتوب للمنطوق نحويا، وكل تلك المظاهر تمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية، تلتها مرحلة ضبط القواعد لضمان السير على نسق واحد في الكتابة مطرد لدى الجميع، وهو ما يعرف بالكتابة القياسية، أو الإملاء القياسي. يجب معرفة تلك الخصائص وإبرازها ودراستها، نظرا لأهميتها من جهة ارتباطها برسم المصحف الذي يمثل رسمه كتابة ذلك الزمن، ومقارنة ذلك بالنقوش الإسلامية المعاصرة له، وبذلك سيظهر لنا التفسير العلمي الدقيق لها، ولا تعد تلك المظاهر مخالفات أو اضطرابات أو أخطاء في الكتابة كما يصفها البعض، بل هي مناهج الكتابة المتبعة عند أهل تلك العصور. وتم عرض مخالفة المكتوب للمنطوق نحويا من مصدرين، الأول رسم المصحف، والثاني النقوش الإسلامية المبكرة، واتضح الفرق بين ما يرد في مادة كل منهما، ففي رسم المصحف لم يقع في أي موضع تكون فيه المخالفة صريحة، خالية من أي احتمال، بل وقع هذا في مواضع تعددت فيها القراءات، فيأتي ما ورد في الرسم موافقا لبعض القراءات الواردة في اللفظ، وقد تأتي بعض القراءات على غير ما يمثله الرسم، فحينئذ تحصل المخالفة بين المكتوب والمنطوق وفق تلك القراءة، لكنه موافق لمنطوق قراءة أخرى، وهذا يجعلنا نوجه ذلك بأن كتاب المصحف راعوا القراءة التي توافق ما كتبوه، أما القراءة الأخرى فهم إما أن يكونوا على علم بها فاختاروا أحد

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الوجهين حينما صعب الجمع بينهما، وجعلوا نطق القارئ هو المبين للقراءة المخالفة للرسم، أو أنهم على غير علم بها أصلا، وهذا قد يحدث، وتؤيده الروايات التي تثبت علم بعض الصحابة بشيء من القراءة لم يعلمه صحابي آخر، وهذا قد يؤثر في حمل بعضهم لما ورد في الرسم على المخالفة النحوية بين المكتوب والمنطوق، وقد يأتي ما يوافق القراءةَ المخالفةَ للرسم المشهور في مصاحف أخرى، وهي إما مصاحف أشخاص بعينهم، أو مصاحف أمصار، وبذلك تأكد عدم وجود المخالفة النحوية الصريحة بين المكتوب في رسم المصحف الشريف وجميع ما وردت القراءة به، وفي النقوش نجد أن المخالفة أتت صريحة دون وجود أي احتمال ينفيها، ويؤكد ما ورد في النقوش وجود هذه الظاهرة بصورة أوضح لخلوها من أي احتمال أو تأويل يخرجها عن المخالفة بين المكتوب والمنطوق، وتؤكد أنها ظاهرة يعلمها أهل ذلك العصر، فقد يستندون عليها في بعض آرائهم، و يدعم ما ورد في النقوش القراءاتُ التي خالفت رسم المصحف، مما روي بأسانيد سليمة، مثل بعض الأوجه لدى القراء السبعة، ويحتملها رسم المصحف على هذا الوجه، وهو أنه قد ترسم الكلمة على صورة تخالف المنطوق، ولا يلزم من ذلك نطقها وفق المكتوب فقط، بل قد يجب مخالفته وهو ما ورد في النقوش كما تقدم، أو أنه يحتمل أن يقرأ به خلاف المكتوب، وهو ما يرد في بعض القراءات التي لا توافق رسم المصحف مما هي على نحو ما تقدم، ولا يفهم من ذلك مخالفة ما اشترطه العلماء من وجوب موافقة القراءة المعتبرة رسم المصحف ولو تأويلا، بل هو من أوجه التأويل المعتبرة في المواضع التي تحتمل ذلك وهي المواضع المتأثرة بالأحكام النحوية، ولا نتوسع في ذلك، بل هو خاص بحدود معينة، فلا يدخل مثلا ما جاء بلفظ مغاير أو زيادة لفظ أو نقصه، هذا ما أقصده، أو أنها من مواضع الاختلاف اليسيرة التي لا تعتبر مؤثرة في شرط موافقة الرسم، وهو ما نبه إليه العلماء في مواضع أخرى غير نحوية. ما جاء على هذه الظاهرة يؤكد لنا أنه قد يرمز للكلمة برمز عام لها، دون مراعاة الرمز إلى الأحرف فيها بشكل دقيق، ويعتمد على سليقة القارئ وفصاحته في النطق السليم، ونتج عن ذلك حذف بعض الأحرف أو زيادتها، أو كتابتها على صورة تخالف الحكم النحوي فيها، ولذلك علل وأسباب، وكل ذلك مما جاء الإملاء الاصطلاحي بعد ذلك لتلافي كثير منها، أو إقراره في بعض المواضع. ومن أسباب ورود تلك الظاهرة أن تلك المرحلة مرحلة البدايات في انتشار الكتابة، فلم توضع قواعدها بشكل مفصل، وكان الاعتماد في التعليم على المحاكاة في الرسم دون مراعاة قواعد عامة تضبط الأحكام على نسق واحد، لذا نجد الاختلاف في رسم حروف كثير من الكلمات، مثل حروف العلة في آخر الكلمات، وبخاصة الألف، ومثل رسم التاء المفتوحة والمربوطة، مما ضبطته القواعد في الكتابة القياسية بعد ذلك، ويفيدنا إثبات هذه الظاهرة في تأويل بعض ما أشكل من نصوص نقلت على غير القياس، ومنها أحاديث نبوية، فحملها على أنها من آثار تلك الظاهرة يفسر لنا وقوعها، فهي مما كتب مخالفا لما ينطق، ومن ثم أخذت عند اللاحقين برسمها،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ونطقوها على الأصل فيه، وإذا عرفنا أنه قد يقع في ذلك العصر ما يخالف الكتابة لأدركنا أن الصواب أن تنطق على الأسلم لغويا، وإذا كتبت بعد ذلك فتكتب على القواعد القياسية المعروفة اليوم.

المصادروالمراجع:

-Al- Quran.

- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, (1997), Fath al-Qadir, aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat min eilmaltafsiri, Dar al-hadeth, Egypt, Cairo, 3 ed.

-Abdul-Baqi, Muhammad Fuad, (1987), almuejam almufahris li'alfaz al Qur'an alkarimi, Dar Al-Fikr, Beirut.

- Al-Thumali, Account of (Prof. Abdullah Musleh Al-Thumali) on the X platform, (https://x.com/thoomaly11)

-Ahqili, Nabil, (2009), alrasm aleuthmaniu wa'abeaduh alsawtiat walbasariatu, , Master's thesis, University of KasdiMerbah, Ouargla, Algeria, retrieved from Dar Al-Manzomah.

-Al-Akbari, Abu Al-Baqa, (1999), 'iierab ma yushakil min 'alfaz alhadith alnabawi, Al-Mukhtar Publishing House, Cairo.

-Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmoud, ruhalmaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, dar 'iihya' alturath alearabi, Beirut.

-Al-Farra, Yahya bin Ziyad, (1955), maeani al Qur'an, edited by: Ahmed Youssef Najati and Muhammad Ali Al-Najjar, Dar Al-Surur, Beirut, Lebanon, 1955 AD.

-Al-Farsi, Abu Ali, Al-Hassan bin Abdul Ghaffar, (1991), alhujat lilquraa' alsabeatu, 'ayimat al'amsar bialhijaz waleiraq walshaami, aladhin dhikruhum Abu Bakr bin Mujahid, edited by: Badr Al-Din Qahwaji and Bashir Juwayjati, Dar Al-Ma'mun, Damascus.

-Al-Hemri, Bashir Hassan, (2015), muejam alrasm aleuthmani, Tafsir Center for Qur'anic Studies, Riyadh, 1st ed

-Al-Hindi, Alaa al-Din, (1998), kanzaleumaal fi sunan al'aqwal wal'afeali, edited by: Mahmoud Omar al-Dimyati, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

-Al-Jamal, Abdul-Rahman Yousef Ahmed, (2005), 'athar aikhtilaf alqira'at alquraniat fi alrasm aleuthmani, Journal of the Islamic University of Gaza, Volume: 13, Issue 532, retrieved from Dar Al-Manzomah.

- Al-Maghdawi The account (nawadir alathar walnuqush) of Muhammad the X platform, (https://x.com/mohammed93athar)

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

-Al-Rashed (2000), Saad bin Abdul Aziz, dirasat fi aluathar almubakirat in Medina almunawarati, Al-Huzimi Foundation, Riyadh.

-Al-Rashed, (2009), Saad bin Abdulaziz, Alsuwaydira (Altaraf qadima) atharuha wanuqushuha al'iislamiatu, Layan Foundation, Riyadh.

-Al-Rashed, Saad bin Abdulaziz and others, (2003), athar mintaqat Makkah Al-Mukarramah, within the Antiquities of the Kingdom of Saudi Arabia series, Ministry of Education, Agency of Antiquities and Museums, Riyadh, 1423 AH.

-Al-Rashed, Saad bin Abdulaziz, (1995), kitabat 'iislamiat min Makkah Al-Mukarramah, King Fahd National Library, Riyadh.

-Al-Sa'adi, Amal Mabrouk, (2022), alqira'at wa'atharuha ala alrasm aleuthmanii dirasat tahliliata, Al-Rasikhoon Journal, Al-Madinah International University, Volume 8, Issue: 3, retrieved from Dar Al-Manzomah.

-Al-Samarqandi, Muhammad bin Mahmoud, (2014), kashf al'asrar fi rasm masahif al'amsari, edited by Najwa Al-Ashqar and Muhammad Al-Naeem, Master's thesis from the University of Omdurman Islamic, Sudan, (published in the almanzumati).

-Al-Samīn al-Halabi, Ahmad ibn Yusuf, (1986), Al-Durr al-Masun fi Ulum al-Kitab al-Maknūn, edited by: Dr. Ahmad Muhammad al-Kharrat, Dar al-Qalam, Damascus, 1st ed.

-Al-Sawi, Ahmad bin Muhammad, (1995), bilughat alsaalik li'aqrab almasaliki, corrected by Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed.

-Al-Shuwaish, Saud bin Fahd, (2002), Report on the Antiquities of Wadi Al-Naqmi, hawliat 'atlal (Annual of Saudi Arabian Antiquities), Issue No. 17, 1423 AH

-Al-Sijistani, Abu Bakr Abdullah bin Suleiman, (2002), kitab almasahif , edited by: Muhammad bin Abdo, Dar Al-Farouq Al-Hadithah, Egypt, Cairo, 1st ed.

-Al-Zahrani, Abdul Rahman bin Ali, , (2004), kitabat 'iislamia min Makkah Al-Mukarramah, min alqarn al'awal 'ilaa alsaabi ealhijri, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Riyadh.

-Al-Zarqani, Muhammad bin Abdul-Azim, (1996), manahi laleirfan fi eulum alqurani, Dar Al-Fikr, Lebanon, 1st ed.

-Askoubi, Khaled, and others, (2006), almisuhata l'athariat fi wade al aqeq, janop al Medina almunawarati, mawsim 1422 ah, 2006 ad, hawliat 'atlal (Annual of Saudi Arabian Antiquities), Issue No. 19, 1427 AH / 2006 AD.

-Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali, (1984), zadalmasir fi eilm altafsiri, published by the Islamic Office, Beirut, 2nd edition.

- Ibn al-Nadim, (1978), Al-Fihrist, Dar Al-Ma'rifah.-

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

-Ibn Ammar, Abu al-Abbas Ahmad, (1973), kitab haja' masahif al'amsari, Journal of the Institute of Arabic Manuscripts, Vol. 19, Part 1, 53-141, retrieved from almanzumati.

-Ibn Ashour, Muhammad al-Tahir, (1997), altahrir waltanwiru, , Sahnoon Publishing and Distribution House, Tunis.

-Ibn Mujahid, (1980), Abu Bakr Ahmad bin Musa, alssabet fi alqira'ati, edited by: Dr. Shawqi Dayf, Dar Al-Maarif, 3rd edition.

-Ibn Shabah, Omar Ibn Shabah Al-Numairi Al-Basri, (1996), 'akhbar almadinat almunawarati, edited by: Ali Muhammad Dandal and Yassin Saad Al-Din Bayan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)